دمية القصر

وتَعجّبي لألِيّتي ... بهواكَ وهْوَ بليّتي .

وأنشدني لنفسه بالريّ سنة أربعين وأربعمائة : .

جعلتكَ منكَ يا سَكني مَلاذاً ... وجئتُك عائذاً إذ لا مَعاذا .

وهَبْكَ قَتَلْتَني فيقالُ : عَبدٌ ... حنى المولى عليه فكان ماذا .

وأنشدني له : .

منعتْ طيفها الزيارةَ رَيّاً ... واختلافُ الرياح إهداءُ ريّا .

ولو أنّ الأحبابَ أنجُمُ ليلٍ ... لم بجُوْ أن تكون فيه الثّريّا .

ومن أبكار معانيه قوله : .

ما شانَني حبسٌ وما ضَرّني ... ما جرّ من حادث إقْتاري .

جَرّبني الدهرُ بأحداثه ... تجربةَ الياقوتِ بالنار .

وأنشدني له أيضاً C تعالى : .

صنعَ العذارُ بخدّهِ عَجَباً ... بَثّ الدخانَ وأضرمَ اللّهَبا .

بدأ الكتابة ثمّ أدركه ... ضَعفُ اليقين بها فما كتبا .

وكأنّما شَقّ الشقيقُ على ... ذاك العذار قميصه طَرَبا .

أدّى مثال الصدغ عارضُهُ ... كحكاية المرآة ما قَرُبا .

أبو المحاسن إسماعيل بن حيدرٍ العَلَوي .

كان خبر هذا الفتى يَتضرامى إليّ وأسمعُ أنه قد نبغَ وانّ قميص فضله قد سبَغَ وهو في ريعان صباه سبق القاضي حيدراً أباه . فكنتُ أقترح على الأيام أن تكحلَني بطلعته فأقفَ على صِبغته كما وقفتُ على صنعته . حتى اتّفق حُصولي بالريّ في ديوان الرسائل بها . فكنتُ أنتظر أنه إذا سمع بي قصدي إما مفيداً أو مستفيداً . فلما تراخى عني وتنفّستُ على استبطائي إياه مدّة مديدةً قلت في نفسي : لعلّ له عذراً وأنت تلوم . وتعرّفتُ خبره . فزعموا أنه صاحب غُراس منذ أسبوع يكاد تنفجر عليه عين الفضل بينبوع . فكتبت إليه أعوده : .

عجّلَ ا برءَ إسماعيلاً ... وجَلاه الشفاء عضباً ثقيلا .

لا يرو عنّهُ الذّبول فقِدماً ... قد حَمِدْنا من القَناة الذّبولا .

ونسيمُ الرياض لا يكتسي الصحْ ... حةَ إلا بأنْ يَهبّ عَليلا .

وحمل إليه أبوه القاضي حيدر هذه الأبيات وهو لِما به مستعدٌّ لمآبه فكتب إليّ ببِنانٍ

يرتعش وقلمٍ لا يكاد ينتعشُ بيتين تمثّل بهما وهما : .

رَمَتني وستر اﷲِ بيني وبينها ... ونحن بأكناف الحجاز رَميمُ .

فلو أنها لمّا رمتنْي رَميتُها ... ولكنّ عَهدي بالنضال قديمُ .

وانطفأ بعد ذلك بساعة وفي قلبي منه حَسرةٌ أتجرّعها ولا أكاد أسيغُها . وفي العين عَبرةٌ أحلبها من الشؤون ثم أُسيلها . فمما أنشدني له أبوه قوله : .

طِبْ يا نسيمَ الريح نَشْراً ... وانشُرْ خَبايا الأرض نَشْرا .

فعسى تُعيدُ حشاشَةَ ال ... مهجور من ريّاكَ نشرا .

سَقياً لمعهدك الذي ... عَهدي به يهتزّ بِشرا .

يا حبّذا ماءُ العُذَيْ ... بِ إذا سقى الأنضاء عَرا .

ولجلّ خَطْباً أنْ تُنا ... زعَنا الوحوشُ إليه حَشرا .

وقوله في صفة السيف : .

ليعلَمِ العُرْب والعُجَيمُ معاً ... أنّا على الحادثات فِتيانُ .

من معشرٍ ما أظلّ هامَهُمُ ... في المجد إلا ظُبىً وتيجانُ .

أولئك السادةُ الأُلى شَرفتْ ... مغارسٌ منهُمُ وأغصانُ .

يا ليتَ شِعري متى يُجلّلُ من هامة ... قِرني أغرّ عُريان .

يُضيء ما أظلمَ البهيمُ كما ... يضحكُ والدمعُ منه هَتّان .

كم قلت إذ شامهُ الكفاح لنا : ... إنّكَ يا مشرفيّ فَتّان .

ألا فيُبدي فُتورُ جفنكَ لي ... أنّك بين القِراب يَقظانُ .

ومنها : .

سَقياً لأيامنا التي سَلَفتْ ... والدهرُ مُغْضي الجُفونِ وَسْنان .

حتى إذا قرّتِ العُيونُ بكمْ ... علمتُ أنّ الزمانَ غيرانُ .

فلَجّ حتى تقاذفَت بكُمُ ... على مطايا الفراق غِيظان .

فما صَرمتمْ تَصارمت لكُمُ ... منّا بوصل السّهاد أجفان .

وقوله أيضاً :